العناية بنشر الكتب العربية

لو كنا نقلد أهل الغرب فى الصالحات من أعمالهم ، من يوم قُدر لنا أن نتصل بهم ، لكانت لنا حال أسعد من حالنا اليوم ، ولكنا قد قطعنا أمدا بعيدا فى الرقى العلمىّ والخلقىّ والاقتصادىّ والسياسىّ

مضى علينا نحو قرن وربع قرن ، ونحن (من أيام المغفور محمد على إلى اليوم) على اتصال دائم بأمم العلم فى أوربة ، لم تنقطع الرحلة بيننا وبينهم ، وقد شاهدنا مظاهر رقيهم ، وأعجبنا بكل شىء عندهم ، ومع ذلك لم نقتبس منهم كل ما كان يجب أن نقتبسه مما نحن فى حاجة إليه حتى سبقنا فى الحياة أمم كنا فى أواسط القرن الماضى أسعد منهم حظا وأرفه عيشا . إن من أعجب ما عرفناه عن أمم الغرب (وكان يجب أن نعمل به أولا) اعتماد الشعوب فيها على ذاتها « لا على حكوماتها » فى الوصول إلى ما تطمح إليه من ضروب الرقى الحيوىّ ، لانهم عرفوا أن الحكومات « وإن أخلصت » تعجز عن القيام بكل ما تطلبه حاجة الشعوب ، وخصوصا فى إبان النهضات وأطوار الانتقال إذ تشتد شهوة الأمم ألوانا كثيرة من الاصلاح وفنونا مختلفة من الرقىّ .

لذلك أنشأوا الشركات الواسعة ، بأموالهم الخاصة ، لتحقيق أمانيهم التى يصبون إليها ، ففامت شركات للزراعة وشئونها ، والصناعة وفنونها والتجارة وأبوابها ، حتى التعليم قامت به شركات أهلية ، والتعليم من أدخل الامور فى أعمال الحكومات وأمسها بها : لما يقتضيه الانفاق

عليه من الأريحية للبذل الذى لا يسخو به إلا الندى الحكومات يدا وكان تأليف الشركات السبب فى غنى تلك الأمم أفرادا وجماعات وقدرتها على مالم يقدر عليه غيرها، بل إليها يرجع رقيهم فى جميع شئون الحياة ومرافقها، وأصبحوا يستطيعون تثمير أموالهم لا فى بلادهم وحدها بل وفى سائر بلاد الناس، وهانا نحن من ذلك مادهانا من أنواع الشركات التى قبضت على منابع ثروتنا بفضل علمها وفرط تقاعدنا

والذى يعنينا الكلام فيه فى هذا المقال من أنواع الشركات عند الفرنجة، ومما نتمنى أن يكون فى مصر لشدة افتقارها إليه هو شركة فنية لطبع الكتب العربية لما فى ذلك من عظيم عائدتها، وجليل نفعها وتوفير كرامتنا، ورفع اللوم عنا.

لقد بدأنا منذ زمن بعيد نحس شدة حاجتنا إلى العلم، بل نلمسها لمسا فى كل مظاهر حياتنا، ونحن نريد أن نتعلم، ونرفع أصواتنا بأن لنا رغبة شديدة فى فنون العلم، وستزداد هذه الحاجة إليه، والرغبة فيه، كلما تذوقنا نفعه، وجنينا من ثمره. ولا مراء أن حاجتنا إلى الكتب فى الفنون الكثيرة تتبع حاجتنا الى العلم والالحاح فى طلبه، فاذا لم نسرع مقتضيات الأحوال فربما لا ننتفع كثيرا بهذه الرغبة فى العلم، والاقبال عليه.

وإن تأليف شركة مصرية أو شركات لطبع الكتب العربية ليضاعف من نشاطنا العلمى، فاننا نتلقى أكثر معارفنا على أساتذة من الغربيين، وفى ألسنتهم، ونحن مضطرون الى نقل هذا العلم عنهم

الى بلادنا ولغتنا ، والا فليس هناك كبير عائدة علينا من انتقال أفراد منا إلى تلك البلاد واللغات إذا لم يكن لذلك أثر فى بلادنا ولغتنا وحياتنا ونحن نفرح بالكتب التى تترجم الى لغتنا ، ولا نألو جهدا فى معاضدة مترجميها والثناء عليهم ، ليضاعفوا من جهودهم ، ويقووا من همهم ، ونفرح كلما سمعنا بعزم الحكومة على جعل التعليم بلغة البلاد فى المدارس العالية وعلى العناية بتوسيع دائرة الترجمة فى وزارة المعارف ، لأن فى ذلك توفير كرامتنا وكرامة لغتنا . ولكنا لا ندرى إذا أولع الناس بالترجمة وفتنوا بها وكثرت الترجمات عندنا من الذى يقوم عنا بطبعها أهم المترجمون ، وإنما قاموا بترجمتها طلبا للربح منها ، لا للغرم فى طبعها ، أم هى الحكومة ، وحسبها أن تقوم لنا بطبع الضرورى منها على قدر ما تسع خزائنها .

إننا نرى كثيرا من المتعلمين يولعون بالترجمة أو التأليف حينا ، وسرعان ما ينصرفون عنهما عند ما تعترضهم العقبات فى سبيل طبع كتبهم ونشرها من جراء كثرة الانفاق وصعوبة التوزيع ، وفى ذلك من خسارة الأيدى العاملة شىء كثير علينا .

ومما يزيدنا يقينا فى نفع هذه الشركة وانتفاعها مرتبة مصر العلمية واللغوية بين سائر الأمم الشرقية التى تتفاهم باللسان العربى ، فهى أرقى من كل هذه الأمم علما ولغة ، وقد استحقت تلك المنزلة منذ أكثر من ستة قرون ، ولذلك ترى تلك الأمم فى مصر هاديا ومعلما لا تراه

فى غيرها . وكل أثر علمى يظهر فى مصر تتخطّفه الأيدى العربية فى غيرها ، حتى إن بعض المؤلفين قد يرزق من الخط والشهرة فى خارج مصر أكثر مما ينال فيها ، ولا عجب فمصر واسطة عقد الممالك العربية وهذه الميزة التى فضلها الله بها على كثير من البلاد جديرة بنظرنا وتقديرنا .

أضف إلى ذلك أننا ورثنا عن أسلافنا من العلماء ميراثا عظيما من المؤلفات التى ظهرت فى نحو اثنى عشر قرنا ، وهذه المؤلفات فى الديانة وفروعها ، واللغة وأبوابها ، والآداب وفنونها نحن فى أشد الحاجة الى إحياء موادها والمحافظة عليها ، لان فيها كثيرا من غذاء عقولنا وأخلاقنا وعاداتنا التى نفاخر بها ، وفيها كثير من عناصر علمنا وتاريخ عقولنا .

أليس عجيبا أن يعرف فضيلة هذه المؤلفات أناس من الاجانب عنا ويقدّروها قدرها ، ويتفانوا فى الحصول على أصولها ، ويبذلوا كل جهد ومقدرة فى تصحيحها وشرحها والتعليق عليها ، ويطبعوها وينشروها ولا غرض لهم إلا الوقوف على صورة صحيحة كاملة من عقولنا وأساليب حياتنا ، ونحن أبناء هذه اللغة ومن رسخت ملكاتها فينا لا نجد فى خزائننا الخاصة والعامة نسخة مما يطبعونه ويقرءونه من كتبنا .

ان أهل هذا الجيل لا يؤاخذون بما فرط أسلافهم فى نفائسهم حتى وقعت الى أيدى الفرنجة فتاهوا بها ، ولكنهم يلامون على اهمال البقية الباقية من كتبنا أن تمتد اليها أيدى العبر ، فتذهب نفوسنا بعد ذلك

حسرة عليها ـ يلامون بتركهم هذه الذخائر التي اعتدى ويعتدى الزمان عليها، فرعت الأرضة في غضونها، وذهبت الرطوبات بمحاسنها، وهي مع ذلك بين أيدينا في خزائن مصر والشام والعراق والقسطنطينية، ولا أذكر ما في خزائن صقلية وروما وقرطبة وفرنسا وإنكلترا وهولانده وألمانيا.

فحتى متى نترك هذه الثروة نهباً للبلى، ولا يحرك مرآها أشواق نفوسنا. لم لا نتعاون على إنقاذها من يد الضياع؛ لم لا نحيي ذكرى أصحابها من النسيان؛ ثم لماذا لا نلتمس الكسب منها؛ أننتظر حتى يقوم الاجانب عنا بتأليف شركة لطبع كتبنا العربية وبيعها لنا، ثم نرسل الأنفاس الحارة أسفا على تفريطنا إذا رأيناها مصدر ثروة صناع من يدنا؟

ولو عنى الاغنياء ممن يذهبون الى أوربة بأن يستردوا لنا الكتب التي سلبت منا لكنا استرددناها الآن كلها أو أعظم جانب منها، ولكنا نفيناعن أنفسنا عارا لا يزال لاصقا بنا، ولكنا استفدنا من نشر هذه الكتب بيننا فوائد كثيرة مادية وأدبية.

أليس من الغريب أن ديوان ابن حمديس الصقلي يطبع في إيطالية بالعربية وتنفد طبعته قبل أن يقع إلى أيدي كثير من خاصة أدبائنا؛ ثم أليس من الشائن أننا لا نجد الجزء الثاني من كتاب الخصائص لابن جني في فلسفة اللغة العربية إلا في خزائن أجنبية عنا، ولا نزال الى اليوم محرومين ثمرة الاطلاع على ما به من آراء زعيم من زعماء

الافكار اللغوية ؟ ثم أليس من العجب أننا لانزال إلى اليوم نقرأ مقدمة ابن خلدون فى نسخة ممسوخة بتراء ، والقوم فى باريس يقرءون أفكار فيلسوفنا الكبير فى نسخة مطبوعة على الأصل الذى كتبه بيده؟ وكم فى خزائن أوربة من كتب عربية نحن اليوم فى مسيس الحاجة اليها .

على أن إنشاء شركة لطبع الكتب العربية كفيل أن يقوى فى مصر أمرين نحس من أنفسنا ضعفا فيهما ، وهما الذوق والخبرة .

أما الذوق فقد أفسده علينا جماعة الطباعين فى مصر ممن لاهم لهم الا استدار الاموال الكثيرة بالنفقات اليسيرة ، فلا يختارون من الورق إلا أقبحه لونا، وأرخصه ثمنا ، ومن الحروف إلا أدقها وأقذرها، ومن الحجوم إلا ما يباين الذوق كل المباينة ، حتى أفسدوا (ذوق) كثير من طلبة العلم عندنا وأصبحوا لا يطلبون الا أقبح الكتب طبعا، وأردأها شكلا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وأما الخبرة فان المطلع على حال كثير من المطابع المصرية يرى فى استعدادها نقصا كبيرا من حيث افتقارها الى صناع ماهرين ، والى فنون من الخبرة الصناعية، وحسبنا أن نقرأ مايطبع فى غير المطبعة الاميرية وبعض المطابع الفنية لنرى قدر الاهمال فى تصحيح الكتب وانتقاء الحروف ونظافتها ، وجودة الحبر، ووضوح الصور، والرونق والجمال الفنى مع مايبذل أصحابها من جهد هو أقصى مالديهم من خبرة فنية

فاذا تولى طبع الكتب عندنا شركة غنية فانها لامحالة ستستعين بطائفة من ذوى الخبرة الكاملة فى شئون المطابع ، فتخرج لنا الكتب

فى درجة من الجمال والاتقان جديرة بتصحيح ذوقنا وهى بذلك تضطر أصحاب المطابع الى المنافسة فى تحسين أمورهم حتى يرتاح الجمهور إلى معاملتهم، أو تجرهم إلى الافلاس بحكم تنازع البقاء، فتربح على كل حال خيرا كثيراً. ذلك إلى أن القيام لهذا المشروع سيوسع عندنا دائرة الاعمال الصناعية حين نجد أنفسنا فى حاجة إلى إتقان صناعات أخرى كثيرة، مما يتصل بصناعة الطباعة: كصناعة الورق، وسبك الحروف وعمل الحبر، والحفر، والتصوير، والتجليد، وما يضاف الى كل ذلك مما احتكره بعض الأجانب ولسنا نعرف طريقا لمزاحمتهم وكف عَبَثِهم بأموالنا ومصالحنا

أما الغاية العظمى من ذلك فهى اوخاص الكتب وتسهيل تناولها على الجمهور

فان الشركة اذا كانت مصرية لايكون همها استباحة أموالنا بل تراعى بجانب ذلك فائدة الأمة ونشر العلم، وتعبيد سبله، لا كما يفعل المحتكرون من باعة الكتب عندنا.

وبعدُ فقد قامت فى مصر جماعة من خيرة المعلمين والمؤلفين باسم لجنة التأليف والترجمة والنشر منذ أكثر من عشر سنين، وقد ترجمت وألفت كتبا كثيرة سدت كثيراً من وجوه حاجتنا. فهل يقبل أصحاب الاموال على هذه اللجنة، فيقووا من همة أعضائها، ويوسعوا من أعمالها، ويتخذوا من أموالها ونظامها أساسا لشركة فتية غنية: لطبع كتبنا العربية.

ذلك ما نرجو أن يفكر فيه الاقتصاديون والماليون ممن يهتمون بإنهاض صناعتنا وثروتها الأهلية ؟

مصطفى السفا

مدرس بمدرسة الامير فاروق الثانوية

فضل العرب على الحضارة الاوربية

لحضرة الفاضل عبدالرحمن بك شكرى ناظر مدرسة دمنهور الاميرية

أساس الحضارة الاوربية الحديثة ـ نهضة الاحياء وأثر العرب فيها

إن الحضارة الأوربية الحديثة ترجع إلى نهضة كبيرة تمت فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر وما زالت تعظم حتى انتهت إلى ما نجد أوربا عليه الآن وتلك النهضة الأولى هى مايسمونه نهضة الأحياء ولم تكن إحياء للعلوم والعرفان فحسب بل كانت أيضا إحياء للصناعة والزراعة والتجارة وتطهيرا للشعور الدينى فكانت نهضة الاحياء كثيرة المظاهر

واذا أردنا أن نعرف فضل العرب على الحضارة الأوربية الحديثة وجب أن نبحث عن أثرهم فى نهضة الاحياء وأن نتقصى أثر العرب في كل مظهر من مظاهرها العلمية والادبية والتجارية والدينية فاذا ثبت لدينا أثر العرب فى نهضة الاحياء الأوربية ثبت فضلهم على الحضارة الأوربية الحديثه فانه لا ينكر أحد أن نهضة الاحياء هى أساس الحضارة الأوربية الحديثة لان الحضارة التى أذاعها الاغريق ثم الرومان بعدهم فى أوربا كانت قد لحقها أشبه الأشياء بالمحاق فاضمحلت بسبب اضمحلال الدولة الرومانية واستيلاء الأمم التيوتونية غير المتحضرة عليها فقد عقب ذلك فترة كانت فترة فوضى فى عالم السياسة وانتشر الجهل واضمحلت الزراعة والتجارة والصناعة ولكن الدول التيوتونية

اللاتينية التى أسست على انقاض امبراطورية روما صارت تقوى وتنتظم امورها

ويقول المؤرخون الذين يريدون أن يغمطوا فضل العرب على نهضة هذه الدول : ان نهضة الاحياء ترجع الى النمو الداخلى الطبعى الذى نشأ فى هذه الدول بسبب نمو مدارك أفرادها نموا طبعياً كان لا محالة واقعا وفى قولهم شىء من الصواب ولكنهم يلفتون أبصارهم عن العوامل الخارجية التى سببت ذلك النمو والتى أثرت فى الامم الأوربية الحديثة من ناحية العرب ومن ناحية غيرهم

فضل العرب على العلوم الاوربية وآداب اللغات الاوربية

يقول بعض المؤرخين ان سبب رقى العلوم فى أوربا ما وصل الى أيدى الاوربيين عن اللغة الاغريقية القديمة واللاتينية ولا سيما الاغريقية من طريق البوزنطيين خاصة بعد سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك وفرار كثير من علماء الاغريق الى غرب أوربا ويقول المؤرخون ان ما وصل إلى أيدى الاوربيين عن اللغة العربية من الكتب القديمة كمؤلفات ارسطاطاليس وغيره إنما كان قبل النهضة فى القرون الوسطى حينما كان الشائع فى مدارس أوربا وجامعاتها نوعا من التعليم يشبه التعليم فى الجامع الازهر قبل إصلاحه ويقولون : إن الغرض من